المختصر المفيد في

إثبات وجود العزيز الحميد



الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد الصباغ

المختصر المفيد
في إثبات وجود العزيز الحميد

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه الشيخ الدكتور
أبو عبد الرحمن
سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ



١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ نبينا محمد ﷺ، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.



هذه رسالةٌ مختصَرةٌ موجَزةٌ في ثبوتِ وجودِ ربٍّ خالقٍ، عظيمٍ، قديرٍ، رازقٍ، مدبرٍ، محيٍ، ومميتٍ، رحمنٍ، رحيمٍ، مَلِكٍ، مالكٍ لهذا الكونِ العظيمِ الدالِّ بجميع آياتِه الكونيةِ والشرعية على ضرورةِ وجودِ إلهٍ خالقٍ له ولكلِّ ما فيه؛ إذْ إنه بالعقلِ والفطرةِ والحسِّ والنظرِ والسمعِ لا يوجدُ شيءٌ من هذه المخلوقاتِ خلق نفسَه، ولا يوجدُ مخلوقٌ خلقَ غيرَه، ولم نرَ شيئًا صُنِع بغيرِ صانعٍ، ولا نعلمُ شيئًا وُجِد صُدفةً، فهذا لا حقيقةَ له في العقلِ ولا في الواقعِ.

ولو أنَّ أحدًا ادَّعى أن هناك مصنعًا أو قصرًا أو سيارةً أو غيرَ ذلك خُلِقَ بغيرِ خالقٍ ووُجِدَ بغيرِ واجدٍ لقال الناسُ: إنه مجنون، فكيف يُعقَلُ أن يكونَ هذا الكونُ العظيمُ البديعُ المُحكَمُ خُلِق من غيرِ خالقٍ، ووُجِدَ من غيرِ واجدٍ وصُنع من غير صانعٍ؟!

وحتى بحسبِ ما يُسمَّى «قانونَ السببية» لا بدَّ لكلِّ شيءٍ موجودٍ من سببٍ أوجَدَه، وهذا السببُ يكونُ مستقِلًّا عن الزمانِ والمكانِ؛ لأنه هو الذي أوجدَ الزمانَ والمكانَ، فلا بد أن يكونَ هو



الخالقُ الواجدُ الصانعُ غيرُ المخلوقِ، ولا بد أن يكونَ هو العالِمُ القادرُ القديرُ المريدُ والفعالُ لما يريد.

وهذا الخالقُ العليمُ القديرُ المدبرُ لهذا الكونِ هو اللهُ الواحدُ الأحدُ الفردُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفوًا أحدٌ.

وقد دلتِ الفطرةُ والعقلُ والحسُّ والشرعُ على وجودِه سبحانه، ولا يَجحَدُ ذلك إلا أعمى البصرِ والبصيرةِ ممن تلبَّسَتْ بهم الشياطينُ، أو إنسانٌ مأجورٌ على محاربةِ دينِ اللهِ تعالى بالصدِّ عن سبيلِ الله، وإضلالِ خلقِ الله.

فالأصلُ أن كلَّ إنسانٍ يُولَدُ على الفِطْرةِ؛ أي: يُولَدُ مفطورًا على الإسلامِ وعلى معرفةِ اللهِ تعالى، وأن له ربًّا خالقًا سميعًا بصيرًا عليمًا قديرًا مدبرًا لشؤونِ خلقِه.

وهذا ما سوف نُبيِّنُه بمشيئةِ اللهِ تعالى في هذه الرسالةِ المختصَرةِ المُوجَزةِ، واللهَ تعالى أسألُ أن يُثبِّتَنا على دينِه، وأن يتوفَّانا مسلمين، ويُلحِقَنا بالصالحين، وصلى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين!



من أدلةُ وجودِ اللهِ ربِّ العالمين

وجودُ اللهِ جل وعلا حقيقةٌ فطريةٌ حسِّيةٌ عقليةٌ نقليةٌ، ولا ينكرُها إلا أعمى البصرِ والبصيرةِ، ميِّتُ القلبِ، جَحودُ الطبع.

فقد دلَّتِ الفطرةُ السليمةُ والحسُّ السليمُ والعقلُ الصحيحُ والنقلُ الصريحُ على ضرورةِ وجودِ ربٍّ إلهٍ عظيمٍ لهذا الكونِ، ونبينُ ذلك على النحو الآتي:

أولًا: دليل الفطرة

الفطرةُ هي أصلُ خِلقةِ الإنسانِ وتديُّنِه؛ فإنه مخلوقٌ مفطورٌ على أن هذا الكونَ لا بد له من ربٍّ خالقٍ مدبرٍ لهذا الكونِ يسمعُ دعاءَه، ويُقيل عَثَراتِه، فالإنسانُ بفطرتِه وأصلِ خلقتِه إذا أصابتْه شدةٌ من مرضٍ أو فقرٍ نظرَ نحوَ السماءِ واستشعرَ افتقارَه إلى الخالقِ العظيمِ والربِّ الكريمِ يستغيثُ به، ويستعينُه، ويدعوه؛ ليكشفَ عنه الضُّرَّ ويكتبَ له النجاةَ.

وهذه الفطرةُ بالإقرارِ بوجودِ ربٍّ خالقٍ رازقٍ شافٍ كريمٍ جَوَادٍ جبارٍ ليست في الإنسانِ وحدَه؛ بل في جميعِ المخلوقات.

يُروَى: أن نبيَّ اللهِ سليمانَ خرج يستسقي بالناسِ- أي: يصلي الاستسقاءَ- ليُنزِلَ اللهُ المطرَ، فوجد نملةً مستلقيةً على ظهرِها رافعةً قوائمَها نحوَ السماءِ تقول: اللهُمَّ إنا خلقٌ من خلقِك، فلا تمنَعْ عنا سُقياك! فقال سليمانُ لقومِه: ارجِعوا فقد سُقِيتُم بدعوةِ غيرِكم[1].

والقرآنُ الكريمُ كتابٌ يخاطبُ العقلَ، وجميعُ حُججِه النقليةُ هي في الأصلِ عقليةٌ تخاطبُ العقلَ والفطرةَ، وقد أشار القرآنُ إلى دليلِ الفطرةِ في إثباتِ وجوبِ وجودِ اللهِ، فقد أخبرَ عن المشركين الذين عبدوا غيرَ اللهِ، والذين أنكروا وجودَ اللهِ، والذين أشركوا مع اللهِ آلهةً أخرى؛ أنهم كانوا إذا مَسَّهم الضرُّ أو وقعوا في الشدائدِ توجَّهوا بأصلِ فطرتِهم إلى اللهِ الخالقِ الرازقِ الجبارِ الذي يَجْبُرُهم في مُصابِهِم وحدَه لا شريكَ له، قال اللهُ تعالى عنهم: {فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ٦٥} [العنكبوت:٦٥]، وقال: {وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ

---

(١) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٠٧-١٠٨.



ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾} [الإسراء:٦٧].

المشركون والملاحدةُ كانوا- وما زالوا- إذا ركِبوا البحرَ واشتدَّ بهم الموجُ، وخافوا الهلاكَ والغرقَ؛ لجؤوا إلى اللهِ خالقِهم بفطرتِهم؛ فإنه لا مَنجَى ولا ملجَأَ من اللهِ إلا إليه، ولن يُنجِيَهم إلا اللهُ، ثم إذا أنجاهم اللهُ رجعوا للكفرِ والشركِ والإلحادِ والجحودِ مرةً أخرى.

وكذلك في أيِّ ضرٍّ وبلاءٍ، قال اللهُ تعالى: {۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾} [الزمر:٨].

فرجوعُ الإنسانِ وإنابتِه إلى ربِّه عند الشدائدِ دليلٌ على أنه يقرُّ بفطرتِه بوجودِ اللهِ خالقِه وربِّه الغني.

وقد دلتِ السُّنةُ كالقرآنِ على أنَّ كلَّ إنسانٍ وُلِدَ مفطورًا على أن هذا الكونَ له خالقٌ واحدٌ مستحِقٌّ للعبوديةِ وحدَه سبحانه، قالَ

النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠] (١).

ولا يغيرُ هذه الفطرةَ إلا شياطينُ الإنسِ والجنِّ، فمن شياطينِ الإنسِ الأبوانِ الكافرانِ، ودعاةُ الكفرِ والإلحادِ، لقولِ النبيِّ: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ».

أما شياطينُ الجنِّ فهذه مهمَّتُهم يسعَونَ بكلِّ سبيلٍ لإبعادِ الناسِ عن الفِطرةِ السليمةِ التي فطرَ اللهُ الناسَ عليها، قال الله تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا» (٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).



ومعنى قوله: «**خَلَقتُ عِبادِي حُنَفاءَ كلَّهُم**»؛ أي: موحِّدين مسلمين طاهرين مُقِرِّين بوجود الخالقِ سبحانه ووحدانيتِه وأنه لا إلهَ إلا الله.

ومعنى «**أَتَتْهُمُ الشياطينُ فاجْتَالَتْهُمْ عنْ دِينِهم**»؛ أي: صَرَفَتْهُم عن التوحيدِ وذهبتْ بهم إلى الشركِ والباطلِ بدونِ حُجَّةٍ ولا برهانٍ.

ودلَّ ذلك على أن التوحيدَ والإقرارَ بوجودِ الباري هو الأصلُ، وأن الإلحادَ والانحرافَ عن الفطرةِ هو الاستثناءُ الطارئُ بسببِ خبثِ شياطينِ الإنسِ الجنِّ، والدليل على ذلك قولُ اللهِ تعالى: {كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٢١٣} [البقرة:٢١٣].



فاللهُ سبحانه خلقَ الناسَ وفطَرَهم على الإسلامِ والإيمانِ بوجودِ الخالقِ واستحقاقِه للألوهيةِ، وصاروا على ذلك زمنًا طويلًا، قال ابنُ عباسٍ: كان بين نوحٍ وآدمَ عشرةُ قرونٍ كلُّهم على شريعةٍ من الحقِ، فاختلفوا، فبعثَ اللهُ النبيين مُبشِّرين ومنذرين[١]. وقال قتادةُ في تفسيرِ الآيةِ سالفةِ الذكرِ: وكان الناسُ على الهدى جميعًا فاختلفوا، فبعث اللهُ النبيين، وكان أولَ مَن بُعِث نوحٌ عليه السلام[٢].

ثانيًا: دليل الحِسِّ

من أعظمِ دلائلِ وجودِ اللهِ تعالى هذا الإنسانُ الذي خلقَه اللهُ وجعل له حِسًّا يُدرِكُ به أنه مخلوقٌ مُكرَّمٌ من قِبَلِ ربِّه جل وعلا، جعل له عينينِ ولسانًا وشفتينِ؛ أي: حاسةَ البصرِ والكلامَ والذوقَ، وجعل له سمعًا يسمعُ به، وأنفًا يشمُّ به، وجلدًا يحسُّ به، ورِجلًا

---

[١] انظر: تفسير الطبري (٣/ ٦٢٠).

[٢] انظر: تفسير الطبري (٣/ ٦٢١).



يمشي ويتحركُ بها، ويدًا يبطِشُ بها، وعقلًا يعقلُ به، قال تعالى: {وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾} [الذاريات:٢١].

وهذه الحواسُّ التي خلقَها اللهُ للإنسانِ هي دلائلُ على وجودِ الخالقِ سبحانه وقدرتِه، وهي أدواتٌ يُستدَلُّ بها على وجودِ اللهِ ووحدانيتِه جلَّ وعلا يدركُ بها الإنسانُ آياتِ اللهِ الكونيةَ والشرعيةَ.

فمِن آياتِ اللهِ الكونيةِ الدالةِ على وجودِ اللهِ الخالقِ البارئِ المصوِّرِ القادرِ البديعِ سبحانه: خلقُ السمواتِ، والأرضِ، والشمسِ، والقمرِ، والنجومِ، والجبالِ، والشجرِ، والدوابِّ، والإنسِ، والجنِّ، والليلِ، والنهارِ، والسحابِ، والرياحِ، والمطرِ، والنباتِ، والطيرِ، والحيواناتِ... إلخ.

قال تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾} [الغاشية:١٧-٢٠].

وقال تعالى: {فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا



وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣﴾ [عبس:٢٤-٣٢].

قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤﴾ [الروم:٢٠-٢٤].

وكلُّ ذلك من دلائلِ وجودِه، وايجادِه لخلقِه، وكمالِ قدرته وفضلِه على خلقِه، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ [فصلت:٥٣].

ومِن أوضحِ دلالاتِ الحِسِّ على وجودِ اللهِ تعالى السميعِ البصيرِ القريبِ المجيبِ أن الناسَ جميعًا يدعون اللهَ، ويرفعون إليه حاجتَهم كلَّ يومٍ وكلَّ ساعةٍ، واللهُ جل وعلا يسمعُ الأصواتَ، ويستجيبُ الدعواتِ، ويُقيلُ العَثَراتِ، ويرفعُ الابتلاءاتِ، ويمنحُ البركاتِ.

وهذا مِن أعظمِ الأدلةِ الحسيةِ على أن هناك ربًّا موجودًا قريبًا سميعًا بصيرًا عليمًا خبيرًا حكيمًا مُجيبًا مستويًا على عرشِه، عاليًا فوقَ خلقِه، يعلمُ أحوالَهم، ويديرُ شؤونَهم.

فكم مِن مرةٍ تجِفُّ الأرضُ، ويموتُ الزرعُ، ولا ينزلُ المطرُ فيتوجهُ الناسُ- بل والحيوانُ والطيرُ- إلى اللهِ تعالى داعين مستغيثين به أن يُنزِلَ عليهم المطرَ، ويرفَعَ عنهم المجاعةَ والغُمَّةَ؛ فيستجيبُ اللهُ دعاءَهم أو استسقاءَهم، سواءٌ بالصلاةِ أو بمجردِ الدعاء، قال تعالى: {فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠} [الروم: ٥٠].



وكم من مريضٍ دعا اللهَ أن يَشفيَه فشفاه، وكم من فقيرٍ ومَدينٍ دعا اللهَ أن يرزُقَه ويقضي عنه فرزقَه، وكم من مهمومٍ ومكروبٍ دعا اللهَ بزوالِ الهمِّ والغمِّ والكربِ فعافاه، وكم من عقيمٍ دعا اللهَ أن يرزقَه بالولدِ فوهبَه وأعطاه!

ومما يؤثَرُ ويُحكَى ما أجاب بِه الأعرابيُّ الأصمعيَّ حين سُئِل: بِمَ عَرَفتَ ربَّك؟ قال: البَعْرةُ تدُلُّ على البعيرِ، وآثارُ الأقدامِ تدلُّ على المَسيرِ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، وأرضٌ ذاتُ فِجاجٍ، وبحارٌ ذاتُ أمواجٍ، ألا يدُلُّ ذلك على وجودِ السميعِ البصيرِ اللطيفِ الخبيرِ[1]؟!

---

(١) شرح الواسطية، لابن عثيمين ص٩٩.



ثالثًا: دلالة العقلِ على وجودِ اللهِ تعالى الخالقِ البارئ

اللهُ جل وعلا فضَّلَ الإنسانَ وكرَّمَه وأنعمَ عليه بنعمةِ العقلِ؛ ليعرفَ به ربَّه، ويعقلَ به مرادَ اللهِ منه، ويعقلَ الآياتِ الكونيةَ والشرعيةَ الدالةَ على عظمةِ البارئِ سبحانه.

وهذا الكونُ العظيمُ بما فيه من مخلوقاتٍ هو واحدٌ من ثلاثة:

إما أنه خلقَ نفسَه من العدمِ.

وإما أنه خُلِقَ صدفةً.

وإما أن له خالقًا عظيمًا قديرًا كبيرًا عليمًا خبيرًا سميعًا بصيرًا.

فبالعقلِ لا يوجدُ شيءٌ خلقَ نفسَه من العدمِ؛ إذ كيف يكونُ عدمًا ويخلقُ؟!

وبالعقلِ لا يوجدُ ولا يُعلَمُ ولم نرَ شيئًا خُلِقَ صدفةً؛ بل كلُّ شيءٍ حولَنا لا بد له من صانعٍ صنَعَه!

إذًا لا يبقى ولا يكونُ إلا أن هذا الكونَ العظيمَ- بما فيه من مخلوقاتٍ عِظامٍ وسمواتٍ وأراضٍ وجبالٍ وأنهارٍ وبحارٍ وشمسٍ



وقمرٍ وزروعٍ وثمارٍ ونجومٍ... إلي آخرِه- له خالقٌ بارئٌ مصوِّرٌ حيٌّ قيومٌ أوَّلٌ آخِرٌ مقدِّمٌ مؤخِّرٌ عليمٌ خبيرٌ سميعٌ بصيرٌ، خلَقَ هذا الكونَ فأتْقَنَ خَلْقَه، وَصَوَّرَه فأحسنَ تصويرَه، ودَبَّرَه فأحسنَ تدبيرَه! وهذا ما دلَّ عليه العقلُ والفِطرةُ والحِسُّ، وجاءت به أدلةُ الشرع؛ قال الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور:٣٥-٣٦]؟

الجوابُ على الآية واضحٌ، هم لم يَخلُقوا أنفسَهم، ولم يُخْلَقوا صدفةً من غيرِ شيءٍ، وإنما لهم ربٌّ خالقٌ عظيمٌ خلقهم، ودبَّرَ شؤونَهم وأرزاقَهم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر:٦٢].



رابعًا: دلالة الشرع الحكيم (الآيات الشرعية) على وجود الله ربِّ العالمين

كلُّ ما جاء به الرسلُ من شرائعَ تتضَمَّنُ ما يُصلِحُ الخلقَ وينفعُهم في دينِهم ودنياهم وأُخراهم: لَأَعظمُ دليلٍ على أن الذي شرَعَها وأرسلَ بها الرسلَ ربٌّ حكيمٌ عليمٌ رؤوفٌ رحيمٌ كريمٌ رزاقٌ.

فقد جاءت هذه الشرائعُ بالأمرِ بكلِّ خيرٍ ينفعُ العبدَ في دينِه ودنياه وأُخراه، والنهيِ عن كلِّ شرٍّ يضُرُّ العبدَ في دينِه ودنياه وأخراه.

فقد أمرَ بالتوحيدِ، وأنواعِ العباداتِ، والبِرِّ والصِّلَةِ، ومحاسنِ الأخلاقِ في جميعِ الصِّلَاتِ والمعاملاتِ التي فيها سعادةُ المرءِ في الدنيا والآخرة.

ونهى عن الشِّركِ والزنا والعقوقِ والظلمِ والقطيعةِ والفسادِ، ونهى عن التعدِّي على أعراض الآخرين، وأموالِهم، وأنفسِهم، وهذه النواهي فيها الشرُّ والضررُ المُطلَقُ للإنسانِ إنِ ارتكَبَها ووقع فيها؛ ففيها تعاسةُ الدنيا والآخرة.



على سبيلِ المثال:

قولُه تعالى: {۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾} [الإسراء:٢٣].

وقال تعالى: {۞وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾} [النساء:٣٦].

وقال تعالى: {قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ



أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ ۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ ۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [الأنعام: ١٥٠-١٥٣].

وقال تعالى: {قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾} [المؤمنون: ١-١١].

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلِّم!

آمينَ آمينَ!



فهرس المحتويات